بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤١/١١/٢٦

"وكلُّ أمر مستقر"

قاعدةُ نجاةٍ في الحياة

الحمد لله...

سورة عظيمة.

سورةٌ عظيمة الأمر، رفيعةُ الشأن، فيها الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، بدأت بالحديث عن آية سماوية، ومعجزة ربانيّة، وأكدت أمرَ التوحيد، وجزمت بحساب العبيد، جاءت من الأنباء ما فيه مزدجر، وبعثت السلوى من خلال القَصص والأخبار والعِبر، فيها من البينات والبراهين عبرةٌ لمن اعتبر وادَّكر، إنها ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ القمر: ١ ، السورةُ المكية، والتي تُدعى سورةُ القمر.

والقرآن كله عظيم، إذْ هو "كليّةُ الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار

والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه" [1].

آيةٌ وجيزةُ الألفاظ حاويةُ المعاني.

وإن مما جاء في هذه السورة جملةٌ من آية، وجيزةُ الألفاظ، حاويةُ المعاني، رصينةُ المباني، وجيزةُ النظم، حُقَّ لكل مؤمن أن يتدبرَها، وأن يقف عندها ويتأملَها، قال تعالى في هذه الآية: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ القمر: ٣، نعم يا عبدالله. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾.

أتدري ما (كلُّ أمر مستقر)؟

ماذا يكون في ذهنك من وقفات عندها؟

وماذا حصّل العلماء من معانيها ومراميها؟

لنقف يا عبدالله في تُطْوَافٍ سريع نتدبر هذه الجملة ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾، ونُثوِّر ما فيها من مراد الله فيما استنبطه الصالحون من عباد الله العلماء.

---

(١) الموافقات، للشاطبي (٣/٣٤٦)

١-أن الأعمال مكتوبة وكلٌّ سيلاقي ما وُعد.

فمن معاني ما ذكره أهل العلم في هذه الجملة الفاذّة المعنى، البليغةِ النظم﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾:

أن الأعمال مكتوبة وكلٌّ سيلاقي ما وُعِد، قال ابن جرير:" كلّ أمْر من خير أو شرّ مستقرٌّ قرارُه، ومُتَنَاهٍ نهايتُه، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار"(١)، فلا تظنّنّ يا عبدالله أن ما عمله الناس من خير أو شر أنْ لن يكون له ثمرة، ولن تعود عليه عاقبة، بل سيعملون، ثم يموتون، ثم إلى الله يحشرون، فتضمنت جملةُ ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ البعثَ والجزاءَ.

فمن عمل صالحًا وَجَدَ لذلك بركتَه ومثواه، ومن عمل طالحًا وجد لذلك شؤمَه ومأواه﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ المؤمنون: ١١٥ – ١١٦.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/٥٧١).

٢-أن ما أخبر الله به من وعيد الأمم واقع لا محالة.

ومن معاني ما ذكره أهل العلم في هذه الجملة الفاذّة المعنى، البليغةِ النظم﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾:

أن ما أخبر الله به من وعيد الأمم المكذبة واقع عليهم لا محالة، وأن عذاب ربك عليهم لبالمرصاد. بحر العلوم للسمرقندي (٣/٣٧٠)

ألم ترَ في سورة القمر غرقَ قومِ نوح، وكيف فجّر الله عليهم الأرض عيونًا وجاءت السماء بماء منهمر؟.

ألم ترَ في سورة القمر قومَ عاد وما أرسل عليهم من الريح الصرصر، حتى قلعت رقابهم عن أجسادهم في يوم نحس مستمر، كأنهم أعجاز نخل منقعر؟

ألم ترَ في سورة القمر عقوبةَ ثمود، وما جاءهم من أمر الصيحة التي خلعت قلوبَهم فكانوا كهشيم المحتظر؟

ألم ترَ في سورة القمر قومَ لوط، وما كان منهم من الفاحشة التي خالفت الفطر، وكيف حصبهم الله، وطمس أعينهم، فذاقوا عذابَه ونذر؟

وقومَ فرعون وأَخْذَهم الله أخذَ عزيز مقتدر.

وكفارَ قريش الذين لم يكونوا أقوى من أولائكم، وكيف هزمهم الله في يوم الجمع، وولوا الدبر؟

لتأتي السورة بحقيقةٍ مُرة بأنَ كلَّ مجرم﴿ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ القمر: ٤٧ – ٤٨ ، فلا إله إلا الله. ما أعظم نكايته بمن عصاه، وما أكبر سُحقَه وغضبه ومقته لمن كذّب من أطاعه واتبع هداه، وكيف أنبأكم﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾

٣-أن الإيمان بالقضاء والقدر لا مفر منه.

ومن معاني ما ذكره أهل العلم في هذه الجملة الفاذّة المعنى، البليغةِ النظم﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾: أن الإيمان بالقضاء والقدر لا مفر منه[1]، والإيمانُ به من علامات المؤمن، بل هو من أركان الإيمان، (فكل أمر مستقر)، أي: أنّ ما قدّره الله في كتابه المحفوظ فسيحين قرارُه، وله

(١) تفسير الثعلبي (١٦٢/٩).

موعد سيقع فيه، كما قال الله تعالى:﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ الرعد: ٣٨، والإيمانُ بما كتب الله وقدّر مما يُسْلي النفس، ويَسْتجِمُّ به الفؤاد، ويخفف المصائب ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ التغابن: ١١، فلن يُهدى قلبُ الرجل حتى يعلم أن المصيبة مكتوبةٌ لن تخطئة، فيرضى بعد ذلك لله ويسلم.

وقد أكد الله هذا المعنى في آخر سورة القمر فقال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ، وهذا من تأكيد آخر السورة لأولها:﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾.

٤-أن الحق سيظهر وأن الباطل سيتلاشى.

ومن معاني ما ذكره أهل العلم في هذه الجملة الفاذّة المعنى، البليغةِ النظم﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾: أن "كل شيء إلى غاية، فالحق يستقر ظاهرًا ثابتًا، والباطل يستقر زاهقًا ذاهبًا"(١).

(١) تفسير ابن عطية (٥/٢١٢).

فيا عبدالله. أحسن الظن بمولاك واعلم أن الحق سيظهر وأن الباطل سيتلاشى، وقد وعد الله أهل الحق في كتابه فقال: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ الصف: ٨، لكن الله قد يؤخر نصره ابتلاء لعباده، وتمحيصًا لإيمانهم، لكن العاقبة للمتقين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ الصافات: ١٧٣.

فلتهنأ يا عبدالله بوعد الله، واصبر على من ظلمك، وأد حقوق نفسِك وغيرِك، واعلم أن النصر مع الصبر، ولْتؤمن بأن الحق أبلج والباطل لجلج، وأن أولياء الله منصورون فالله أخبر: ﴿ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴾.

ومن هنا وعدت سورة القمر في آخرها انتهاءَ صولة الباطل، وقيامَ نورِ الحق، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ القمر: ٤٥

فاللهم أعز دينك، وانصر أولياءك، وأعذنا من كل ظالم متكبر، واجعلنا في حفظك ورعايتك وعنايتك .

الخطبة الثانية:

الحمد لله...

٥-أن الله يعلم الخبايا، وما تخفيه النفوس.

ومن معاني ما ذكره أهل العلم في هذه الجملة الفاذّة المعنى، البليغةِ النظم﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾: أي:"وكل أمر مستقرٌ في علم الله تعالى: لا يخفى عليه شيء"(١).

فالله يعلم الخبايا، وما تخفيه النفوس فكل الخلق من لدن آدم وحتى يرث الله الأرض مهما بلغت خفايا قلوبِهم إلى عنان السماء فإنه: ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ﴾غافر: ١٦، وكل أسرار الخلق هي عنده -سبحانه وتعالى-كالعلن كما قال الله تعالى:﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ الأنعام: ٣، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ طه: ٧، أتدري ما الفرق بين السر والذي هو أخفى من السر؟ السر: ما تخفيه في نفسك اليوم، فإنه لا يعلم به

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/٢٩٠).

أحد إلا أنت وربُّك، لكن القدرة فيما هو أخفى من السر، وهو ما سوف تخفيه في نفسك غدًا، فإنه لا يعلم به اليوم أحدٌ إلا الله[1] ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان: ٣٤.

-(خاتمة) الاستقرار نظام حياة تستقر به الأمور.

﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾، آية عظيمة، تُلْمِح أن: الاستقرار هو نجاتك في الحياة، كما أقر الله الأرضَ نعمةً لعباده فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ غافر: ٦٤، ولو اضطربت لاختل نظام الكون.

الاستقرار هو نجاتك في الحياة، كما أقر الله الأرحام، ولو اضطربت لتساقطت الأجنة ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾

الاستقرار هو نجاتك في الحياة، كما أقر الله نظام الحكم في الإسلام، ولو عاد الأمرُ كما أيام الجاهلية لكثرُ

---

(١) جاء هذا المعنى عن مجاهد وسعيد بن جبير. انظر: تفسير ابن كثير من سورة طه.

القتل، وعظمُ النهب، ولَسُبيت العذارى، ولهذا قال النبي الكريم ﷺ:" مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَمَاتَ، فَمِيتَتُه مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ "[1].

الاستقرار هو نجاتك في الحياة، كما أقر الله أحكام الإسلام، وجعلها ذاتّ قواعد وأحكام، فاترك الاضطراب فيها، والقلقل والشك حيالها، أوالتنقل والاختيار في الخلافات بمجرد الهوى، ومحض اتباع الشهوة، فإن من أكثر التنقل بين الآراء والمذاهب بغير بينة فقد جعل دينه عُرضةً للفتنة والحيرة والاضطراب.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

كتبه: عاصم بن عبدالله آل حمد

---

(١) رواه مسلم.